العدد ١٨ آب ٢٠٢٥
No. 18 – Ang 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

منهج ابو عبدالله الزنجاني في كتابه تاريخ القران (دراسة نقدية)

Abu Abdullah Al-Zanjani's approach in his book History of the Qur'an (A Critical Study)

م.م موج عبد الكريم حسين

جامعة بغداد/كلية التربية للبنات

m. m. Mawj Abd Alkarim Hussein

العدد ١٨ آب ٢٠٢٥
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No. 18 – Ang 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

المستخلص

يعرض البحث منهج الزنجاني في دراسة كتابة القرآن الكريم وجمعه، بدءًا من نشأة الخط العربي وانتقاله للحجاز، ثم انتشار الكتابة في المدينة بفضل تشجيع النبي ﷺ، وتوثيق الوحي بوسائل متاحة. كما يتناول مراحل نزول القرآن، والسور المكية والمدنية، والأحرف السبعة، وكتّاب الوحي وجمعه في عهد النبي ﷺ. وينتقل إلى جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما وتوحيد المصاحف، مع الإشارة إلى المصاحف الشخصية، وتاريخ القراء السبعة ووضع علامات الإعراب والنقط. كما يستعرض تاريخ ترجمات القرآن إلى الأوروبية، ويبرز اعتماد الزنجاني على المصادر التراثية مع الإفادة من الدراسات الاستشراقية وبيان مواضع النقد.

الكلمات المفتاحية: منهج، ابو عبدالله الزنجاني، تاريخ القران

Abstract

The research presents Al-Zanjani's approach to studying the writing and compilation of the Qur'an, beginning with the origin of Arabic script and its transfer to the Hijaz, followed by the spread of writing in Medina encouraged by the Prophet ﷺ, and the documentation of revelation using available means. It addresses the stages of Qur'anic revelation, the distinction between Meccan and Medinan chapters, the concept of the seven modes (Ahruf), and the scribes of revelation during the Prophet's era. The study then moves to the compilation of the Qur'an during the caliphates of Abu Bakr and Uthman (may Allah be pleased with them) and the unification of manuscripts, noting personal codices, the history of the seven canonical readers, and the addition of diacritical marks and vowelization. It also reviews the history of Qur'anic translations into European languages, highlighting Al-Zanjani's reliance on historical and traditional sources, his use of some orientalist studies, and areas of critique in his methodology.

Keywords: Methodology, Abu Abdullah Al-Zanjani, History of the Qur'an

مقدمة

الحمد للهِ الذي لا يَزيدُ في مُلكِه حمدُ الحامدين, ولا يُنقِصُهُ جُحودُ الجاحدين, والصلاة والسلام على خاتمِ الأنبياءِ والمرسلين, وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين, ومن تبعهم وسارَ على نهجهم إلى يومِ الدين ... وبعد .

لا شكَّ أن لكل كاتبٍ منهجه في التأليف, والبحث في علوم القرآن له منهجية خاصة تختلف عن باقي العلوم الأُخرى, فيلزم كل من يؤلف في أي علمٍ من علوم القرآن أن يضع نُصب عينيه أنه يتعامل مع نصٍ إلهي, وليس كتاباً تاريخياً, حتى لا يحيد عن الصواب وينزع في كتابه قداسة القرآن الكريم . وما نُشير إليه هنا هو التأليف في تاريخ القرآن الكريم, فعلى من يكتب فيه أن يحذر من أن يُسقط على القرآن الكريم ما لا يجوز فيه, ويجوز في غيره من الأحداث التاريخية كما فعل المستشرقون ومن تبعهم من الكُتَّاب العرب .

وفي بحثنا هذا سننظر في كتاب (تاريخ القرآن- للزنجاني), ونحاول أن نستخلص منهجه فيه وذلك من خلال مبحثين, سنُعرّف في مبحثنا الأول المنهج والألفاظ ذات الصلة به, وفي مبحثنا الثاني سنقوم بتعريفٍ موجز لصاحب الكتاب (أبو عبدالله الزنجاني) بشكلٍ موجز, ثم نذكر منهجه فيه مع ذكر الأمثلة من كتابه, ... نسأل الله العظيم أن ينفعنا بالقرآن العظيم ويجعلنا من أهله وخاصته, ويوفقنا لخدمةِ هذا الكتاب المجيد .

الباحثة

المبحث لأول: التعريف بمفردات عنوان البحث

المطلب الأول: تعريف المنهج لغةً واصطلاحاً

أ- تعريف المنهج لغة:

المنهج لغةً: يعني الطريق الواضح وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة : آية ٤٨] .

وقال الجوهري: النَهْجُ: الطريق الواضح ، وكذلك المَنْهَجُ والمِنْهاجُ . وأَنْهَجَ الطريقُ ، أي استبانَ وصار نَهْجاً واضحاً بَيّناً[١] .

وقال الرازي: وَ (الْمِنْهَاجُ) الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ ، وَ (نَهَجَ) الطَّرِيقَ أَبَانَهُ وَأَوْضَحَهُ[٢].

وقال الراغب: النَّهْجُ: الطريقُ الوَاضِحُ ، ونَهَجَ الأَمْرُ وأَنْهَجَ : وَضَحَ ، ومَنْهَجُ الطَّرِيقِ ومِنْهَاجُهُ [٣]

وقال الإمام الطبريّ في تفسير قوله تعالى :﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

وأما" المنهاج"، فإنّ أصله: الطريقُ البيّن الواضح ، يقال منه :"هو طريق نَهْجٌ، وَمنهْجٌ"، بيّنٌ ، ..... ثم يستعمل في كل شيء كان بينًا واضحًا سهلا [٤].

ب- تعريف المنهج اصطلاحاً:

المنهج: هو الخطة المرسومة المحددة الدقيقة , التي تتمثل في القواعد والأُسس والمنطلقات [٥] .

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نعرف المنهج في الاصطلاح بأنه:

مجموعة الركائز والأُسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأُمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم .

المطلب الثاني: تعريف الالفاظ ذات الصلة "بالمنهج"

١- الطريق:

أ- الطريق لغة: قال الراغب: الطَّرِيقُ: السّبيل الذي يُطْرَقُ بالأَرْجُلِ ، أي يضرب [٦] .

ب- اصطلاحاً: قال الراغب: وعنه استعير كلّ مسلك يسلكه الإنسان في فِعْلٍ، محمودا كان أو مذموما [٧] .

٢- السبيل:

أ- السبيل لغة: قال ابن منظور: السَّبِيلُ : الطريقُ وَمَا وَضَحَ مِنْهُ ، يُذَكَّر وَيُؤَنَّثُ . وسَبِيلُ اللَّهِ : طَرِيقُ الهُدى الَّذِي دَعَا إِليه [٨] .

---

(١) الصحاح: ج١/ص٣٤٦, الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ), تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, الناشر: دار العلم للملايين – بيروت, الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

(٢) مختار الصحاح: ج١/ص٣٢٠, المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ), المحقق: يوسف الشيخ محمد, الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا, الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

(٣) المفردات في غريب القرآن: ص٨٢٥, المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ), المحقق: صفوان عدنان الداودي, الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت, الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن, لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري: ج١٠/ ص٣٨٤, المحقق: أحمد محمد شاكر, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

(٥) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: ص١٦, للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي, دار القلم – دمشق, الطبعة: الثالثة, ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .

(٦) المفردات في غريب القرآن: ص٥١٨ .

(٧) المصدر نفسه: ص٥١٨ .

(٨) لسان العرب لابن منظور : ج١١/ص٣١٩, المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ), الناشر: دار صادر – بيروت, الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

ب- اصطلاحاً: قال الفيروزآبادي: يستعمل السّبيل لكلّ ما يتوصّل به إلى شيء خيراً كان أو شرًّا [٩] .

٣- الصراط:

أ- الصراط لغة: قال ابن فارس : الصراط : الطريق [١٠] .

ب- اصطلاحاً: قال الامام الطبري "رحمه الله": أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن "الصراط المستقيم"، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه [١١] .

المبحث الثاني: الزنجاني ومنهجه في تاريخ القرآن

المطلب الأول: التعريف بالزنجاني

أبو عبد الله الزنجاني: أحد أبرز علماء الدين الإسلامي الإيرانيين في العصر الحديث .

وُلِد أبو عبد الله بن نصر الله الزنجاني في «زنجان» عام ١٨٩١م لعائلة اشتهرت بالعلم والتصدي للفتن, كان والده «نصر الله» يحمل لقب «شيخ الإسلام» وهي أعلى مرتبة في الجهاز العلمي الديني في مدينته. تلقى تعليمه الأولي في مسقط رأسه على يد أستاذه «إبراهيم الزنجاني»؛ حيث درس الفلسفة، والكلام، والفلك، وبعد أن أتم دراسته، انتقل إلى طهران لاستكمال دراسته، لكنه ما لبث أن غادر مع أخيه الأكبر «فضل الله» إلى العراق، وسكن في مدينة «النجف»، وتلقى علومه على يد كبار شيوخ وعلماء هذه المدينة، من أمثال: «كاظم اليزدي»، و«أبو الحسن الأصفهاني»، و«ضياء الدين العراقي» وغيرهم. وبعد أن نال رتبة الاجتهاد في العلوم الدينية عاد إلى زنجان مرة أخرى، وبعدها بقليل سافر لأداء فريضة الحج، دعا إلى الإصلاح الديني وتوحيد الكلمة وعقد الصلة بين المذاهب الإسلامية, فقام برحلات إلى الشام والأردن وفلسطين ومصر والحجاز، والتقى كبار علماء هذه البلاد. درس في إيران التفسير والفلسفة بكلية المعقول والمنقول «كلية الشريعة» لمدة أربع سنوات، وسنة واحدة في معهد إعداد المدرسين. وبعد أن أنهى دراسته انتُخب عضوًا مراسِلًا بالمجمع العلمي العربي بدمشق, **تُوُفِّيَ** ٣٢ تموز ١٩٤١م [١٢].

من مؤلَّفاته:

١- المعارف في إيران قبل الإسلام .
٢- فلسفة حجاب (فارسي) .
٣- طهارة أهل الكتاب .
٤- شرح رسالة بقاء النفس بعد فناء الجسد وبوار البدن, للخواجة نصير الدين الطوسي .
٥- سر انتشار الإسلام (فارسي) .
٦- رسالة في أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد .
٧- دين الفطرة (فارسي)
٨- حياة صدر الدين الشيرازي .
٩- التصويت .
١٠- التصوف في التاريخ .
١١- تاريخ القرآن .
١٢- الأفكار الفلسفية .

---

(٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز , لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى : ج٣/ص١٨٦, المحقق : محمد علي النجار , الناشر : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة , عام النشر : ج١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م, ج٤، ٥: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م, ج٦: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

(١٠) مجمل اللغة لابن فارس , لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين : ج١/ص٥٥٧, دراسة وتحقيق : زهير عبد المحسن سلطان , دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت , الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(١١) جامع البيان في تأويل القرآن : ج١/ ص١٧٠ .

١٢

١٣- الأُصول الاجتماعية في القرآن .
١٤- الإسلام والأروبيون .
١٥- إثبات تحريف العهدين [١٣].

المطلب الثاني: منهج عبدالله الزنجاني في كتابه تاريخ القرآن

قسَّم المؤلف كتابه (تاريخ القرآن) إلى مقدمة وثلاثة أبواب .

نظرة في المقدمة:

بيَّن في مقدمته اهتمام المسلمين من الرعيل الأول في القرآن الكريم, فقال : "منذ زمن نزول القرآن وظهوره بلسان النبي العربي صلى الله عليه وسلم عُنيَ به المسلمون من الصحابة والتابعين والعلماء والقراء عنايةً كبيرةً لا مثيل لها لأي كتاب من الكتب السماوية, والكتب المؤلفة في علومه من أقدم القرون الإسلامية للمفسرين والقراء وسائر العلماء دليل ساطع على ذلك" [١٤].

كما نوَّه بذكر دور الإفرنج في البحث عن تاريخ القرآن الكريم, والكتب المؤلفة فيه, ثمَّ يقول: "ولكن الموضوع الذي لم تهتم به العلماء هو البحث عن تاريخ القرآن، وعن أدواره التي مرت عليه من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى القرون الأولى الإسلامية، وأنَّ بَحْثَهم فيه إنما كان بعرض الكلام في علومه، ولم يكن تأليف يكفل هذا البحث ما فيه من فائدة جزيلة", ثم قال: "منذ زمن بعيد شرعْتُ في جَمْع المواد المتشتتة المتعلقة بهذا الموضوع في الكتب المتفرقة، وبَحَثْت فيه، وذَكَرْت خلاصة البحث في هذا المختصر، فهو بمنزلة جزء من مقدمة تفسيرٍ أَنْوي تحريرَه على النمط العقلي التحليلي، فبَدَأْت أولًا بذِكْر مختصرٍ من سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم نقلًا عن المصادر الصحيحة" [١٥].

فمما تبيَّن في كلامه هذا أنه كان ينوي تأليف تفسير, يجعل من هذا الكتاب مقدمة له, إلا أنه لم يؤلف في التفسير لأسبابٍ لا نعلمها .

ثم يشرع في ذكر مختصر من سيرة الرسول ﷺ, معللاً أن النبوة سنَّة الله تعالى يحيى بها عالم النفس الإنسانية .

ثمَّ يؤكد كلامه قائلاً: "فإن شِئْتَ تفسير ذلك فانظر إلى التاريخ ترَ أَنَّ في أوائل القرن السابع للميلاد كان العالَم شَرْقه وغَرْبه قد استحالَ كَوْنُه إلى الفساد والفوضى، فحضارته تتحطم بالترف والرخاوة، وسياسته تتحكم بالغلول والأثرة، وأخلاقه تتفكك بالسرف والشهوة، وعقائد تتنزى بالجدل والتعصب، ودماؤه تُهْدَر بيد الظالمين، لغير غَرَضٍ سامٍ ولا مبدأ مُقَدَّس، وكانت شعوبه منذ زمن طويل قد فَقَدَتْ مُثُلَها العليا، فهي تعيش عيش الهمل السوائم. على هذه الحالة خرج محمد صلى الله عليه وسلم برسالته الدينية والخُلقية إلى هذا العالَم المنقض والهيكل البالي" [١٦].

ثمَّ يذكر مختصره في السيرة, ولا ينسى أن يمر بصفات النبي الكريم ﷺ, فيقول: "وقد شبَّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم على كَرَم الخُلُق وعزة النفس، وشدة الغيرة على قومه، حتى كان لا يطيق أن يراهم على ضلال، وكان متين الاعتقاد بوجود لله ووحدانيته وبالبعث والخلود، وكان تَقِيًّا ورعًا محبًّا للزهد والنسك ... ", ويذكر الذين ناصروه وآمنوا به, ويذكر مراحل الدعوة, وما كان من بيعة الأوس والخزرج له ﷺ قبل الهجرة, ثم ينتهي بذكر الهجرة المباركة, وهو في كل ذلك يحرص على ذكر التسلسل بالمراحل, ويذكر التواريخ المهمة [١٧].

---

(١٣) يُنظر: أعلام الشيعة: ج١/ ص٧١ .

(١٤) يُنظر: تاريخ القرآن: ص١١, المؤلف: أبو عبدالله الزنجاني, الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة – جمهورية مصر العربية, ٢٠١٢م .

(١٥) المصدر نفسه: ص١٢ .

(١٦) المصدر السابق: ص١٣ .

(١٧) يُنظر: المصدر السابق: ص١٨- ٢٠ .

منهجه في الباب الأول:

يبدأ هذا الباب بذكر حدوث الخط في الحجاز وانتشاره فيه, ويذكر الآراء التي وردت في ذلك, ثم يذكر رأي مؤرخي العرب فيقول: " ملخص رأي مؤرخي العرب قبل الإسلام وبَعْده أن خطهم الحجازي مأخوذ من أهل الحِيرة, وأهل الأنبار، ووصل الخط إلى أهل هذين البلدين من عرب كندة، ومن النَّبْط الناقلين عن المسند. أجْمَعَ مؤرخو العرب أن الخط دَخَلَ إلى مكة بواسطة حرب بن أمية بن عبد شمس، وكان قد تَعَلَّمَه في أسفاره من عدة أشخاص، منهم: بِشْربن عبد الملك أخو أُكَيْدر صاحب دومة الجندل، وقد حَضَرَ بِشْر إلى مكة مع حرب بن أمية وتزوج الصهباء ابنته، وعلَّم جماعة من أهل مكة ثم ارتحل ... " [١٨].

ويستدل على ذلك بما رواه عبد الله بن فروخ عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبيه قال: قلت لابن عباس: معاشرَ قريش من أين أخذتم هذا الكتاب العربي قبل أن يُبعث محمد صلى الله عليه وسلم تجمعون منه ما اجتمع، وتفرقون منه ما افترق مثل الألف واللام قال: أخذناه من حرب بن أمية. قال: فممن أخذه حرب قال: من عبد الله بن جُدْعان، قال: فممن أخذه ابن جُدعان قال: من أهل الأنبار، قال: فممن أخذه أهل الأنبار قال: من أهل الحيرة قال فممن أخذه أهل الحيرة قال: من طارئ طرأ عليهم من اليمن من كندة. قال: فممن أخذه ذلك الطارئ قال: من الخفلجان بن الوهم كاتب الوحي لهود عليه السلام [١٩].

وذَكر الوجوه التي استدل بها بعض الباحثين من علماء العرب الذين رجَّحوا هذا الرأي, ويبدو أنَّ الزنجاني يميل إلى هذا الرأي لما ذكر من تفصيلٍ في ذلك .

ثمَّ يذكر كيف انتشر الخط في المدينة المنورة, فقال: "وأوَّل مَنْ نَشَرَ الكتابة بطريقة عامة هو الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم بعد مُهَاجَرِهِ إلى المدينة، فقد أَسَرَ في غزوة بدر سبعين رجلًا من قريش وغيرهم، وفيهم كثير من الكُتَّاب، فقَبِلَ من الأميين الافتداء بالمال، وجَعَلَ فدية الكاتبين منهم أن يُعلِّم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة، ففعلوا ذلك، وانتشر الخط بالتدريج من هذا الحين في المدينة والأمصارِ التي دَخَلَتْ في حوزة الإسلام" [٢٠].

ثمَّ ينتقل إلى الوحي ويذكر بدايته, ويذكر الآيات التي ذكرت ذلك, والأحاديث التي نصت على مبدأ الوحي, ويعزو تلك الأحاديث إلى مصادرها, فمن ذلك ما ذكره من حديث الشيخان عن عائشة (رضي الله تعالى عنها وعن أبيها): " ثم يرجع إلى خديجة فتُزَوِّدُه لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، فقال رسول لله صلى الله عليه وسلم فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق, حتى بلغ ما لم يعلم، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره .... الحديث" [٢١].

ويذكر بعد ذلك ما كُتِبَ عليه القرآن آنذاك, من اللخاف والعسب وغيرها, وأن الكتابة كانت بأمرِ النبي ﷺ وبالموضع الذي يشير إليه .

---

(١٨) يُنظر: المصدر السابق: ص٢٣- ٢٥ .

(١٩) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ج٢/ ص٢٩٩, المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ), المحقق: فؤاد علي منصور, الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

(٢٠) تاريخ القرآن, للزنجاني: ص٢٧ .

(٢١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: حديث رقم [٣] ج١/ ص٧, المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي, المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر, الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي), الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ . والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم: حديث رقم[١٦٠] ج١/ ص١٣٩, المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ), المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

ثمَّ يذكر المراحل التي نزل فيها القرآن على قلب النبي ﷺ, أو ما أطلق عليه: عهد نزول القرآن, يقصد بها العهد المكي والعهد المدني للنزول. ويتطرق الى أقوال العلماء في بيان السور المكية والمدنية والمختلف فيها, دون أن يسهب في ذكرها .

وبعد ذلك يذكر إقراء النبي ﷺ للصحابة الكرام ي, ويذكر في ذلك الأدلة من الصِحاح .

ثمَّ يبين بعد المراد بالأحرف السبعة, مستنداً في ذلك على نقل من كلام الإمام الطبري / حيث قال: "والدلالةُ على صحة ما قلناه - من أنّ معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "نزل القرآن على سبعة أحرف"، إنما هو أنه نزل بسبع لغات، كما تقدم ذكرناه من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وسائر من قدمنا الرواية عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم في أول هذا الباب- أنهم تمارَوْا في القرآن، فخالف بعضهم بعضًا في نفْس التلاوة، دون ما في ذلك من المعاني، وأنهم احتكموا فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأ كلَّ رجل منهم، ثم صَوَّب جميعَهُم في قراءتهم على اختلافها، حتى ارتاب بعضُهم لتصويبه إياهم، فقال صلى الله عليه وسلم للذي ارتاب منهم عند تصويبه جميعَهم: "إنَ الله أمرني أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف" [٢٢]. ثمَّ ساق أحاديث وروايات غيرها في هذا .

ثمَّ يُعرِّج بذكر كتابة القرآن الكريم وأمرُه ﷺ بكتابته, ويذكر الذين كانوا يكتبون القرآن من الصحابة الكرام ي, فيقول: وكان للنبي صلى الله عليه وسلم كُتَّاب يكتبون الوحي بالخط المقرر وهو النسخي، وهم ثلاثة وأربعون، أشْهَرُهم: الخلفاء الأربعة، وأبو سفيان وابناه: معاوية ويزيد، وسعيد بن العاص وابناه: أبان وخالد، وزيد بن ثابت، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد لله، وسعد بن أبي وقاص، وعامر بن فهيرة، وعبد لله بن الأرقم، وعبد لله بن رواحة، وعبد لله بن سعد بن أبي السرح، وأُبَيُّ بن كعب، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الربيع، وشرحبيل بن حسنة، والعلاء بن الحضرمي، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي، وحذيفة بن اليمان، وحويطب بن عبد العزى العامري، وكان أَلْزَمَهُم للنبي صلى الله عليه وسلم وأكثَرَهم كتابةً له زيدُ بن ثابت وعليُّ بن أبي طالب"[٢٣] رضي الله عنهم أجمعين .

ثمَّ يذكر أسماء الذين جمعوا القرآن الكريم على عهد النبي ﷺ, ويذكر في ذلك الروايات دون أن يستطرد فيها, مع عنايته بتخريجها [٢٤].

ثمَّ يُشرِعُ في ذكر تاريخ نزول السور, مع بيانه للمكي فيها من المدني, ولكنه لا يحدد التاريخ من حيث اليوم أو الشهر أو العام, ولكن يذكر فيها التوالي سورة بعد سورة, وهو في ذلك كله يعتمد على كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) للبقاعي, وكتاب (الفهرست) لابن النديم, وما يؤخذ عليه أنه أخذ عن المستشرق (نولدكه) من كتابه (تاريخ القرآن), وكان يستطيع أن يستغني عنه, فهناك وفرة من الآثار التي تدخل في هذا الباب, خصوصاً مع المنهج الذي اتبعه [٢٥]. وبعده يأتي على ترتيب نزول القرآن في مكة والمدينة, معتمداً على نفس المصادر

منهجه في الباب الثاني:

في الفصل الأول من هذا الباب يتكلم الزنجاني عن جمع القرآن الكريم في عهد أبو بكر الصدِّيق ﷺ بعد أن أشار عليه بذلك الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ, ويذكر في ذلك الرواية المشهورة عن عُبيد ابن السبَّاق [٢٦], ثمَّ يُحلل تلك الرواية ويقول:

" يظهر من الرواية أنا أبا بكر ﷺ خشي فأبى مِنْ فعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ لشدة اتِّباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم اجتهد عمر ﷺ وقال: هذا والله خير، أي صلاح للأمة؛ لأن القرآن هو أساس معالم الدين الإسلامي، وكذلك زيد بن ثابت ﷺ أبى أن يفعل ما لم يفعله صلى الله عليه وسلم خشية الابتداع في

---

(٢٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ج١/ ص٤٨ .

(٢٣) يُنظر: تاريخ القرآن, للزنجاني: ص٤٣ .

(٢٤) يُنظر: المصدر نفسه: ص٤٧- ٤٩ .

(٢٥) يُنظر: المصدر السابق: ص٥١- ٥٧ .

(٢٦) يُنظر: صحيح البخاري, [باب جمع القرآن, حديث رقم: ٤٩٨٦]: ج٦/ ص١٨٣ .

الدين، كأن ظاهر الرواية أن إنكارهما يرجع إلى جمع القرآن، مع أن القرآن بحسب الروايات والأقوال السابقة كان مجموعًا في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن التأمل الصادق والشواهد يعطي أن اقتراح عمر ﷺ جمْعَ القرآن إنما كان لجمعه في الورق، حتى إن الصحابة لشدة احتياطهم وخضوعهم لرسول الله ﷺ خافوا أن يكون ذلك من البدع وأجاب الخليفة الثاني أن فيه رضى النبي ﷺ وصلاحَ الأمة . في الإتقان عن مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما أصُيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر ﷺ وخاف أن يَذْهَبَ من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جُمِع على عهد أبي بكر ﷺ في الورق، فكان أبو بكر ﷺ أَوَّلَ مَنْ جمع القرآن في المصحف [٢٧].

ثمَّ يُعقِّب على جمع المصحف في عهد عثمان ﷺ [٢٨], مع ذكره لسبب الجمع, وكيفيته مستنداً في ذلك إلى ما جاء في صحيح البخاري:" أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: «أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ "، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ " [٢٩].

ثم يختم هذا الفصل ببيان شكل الجمع في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر الصدّيق ﷺ وعهد عثمان بن عفان ﷺ, فيقول:

"فالجَمْع الأول كان جَمْعَ الآيات حين نزولها في الكتب وأمثالها مما كانت العرب تَكْتُب عليه وعَرْضها على النبي صلى الله عليه وسلم، والجمع الثاني في عهد الخليفة أبي بكر ﷺ كان جَمْع القرآن بين لوحين ونسخها في قطع الأديم، والجمع الثالث في عهد عثمان ﷺ كان جَمْع المسلمين على قراءة واحدة" [٣٠].

ثمَّ يذكر ترتيب السور في بعض المصاحف - على حدِّ زعمه – مثل مصحف الإمام علي ﷺ, ومصحف أُبي بن كعب ﷺ, ومصحف عبدالله بن مسعود ﷺ, مستنداً في ذلك على كتاب (الفهرست) لابن النديم, وللعلماء كثير من المؤاخذات على ابن النديم وكتابه (الفهرست). ومصحف ابن عباس ﷺ, ومصحف الإمام جعفر الصادق / [٣١]. ولا نستطيع أن نُسلِّم بذلك؛ لما عليه إجماع الأُمة على مصحف عثمان ﷺ .

ثمَّ بعد ذلك يُشرع في ذكر القراء السبعة ورواتهم وأسانيدهم وبلادهم وميلادهم ووفاتهم, وهو في كل ذلك لا يُسنِد ما يذكر إلى مصدر, إلا أن كلامه لا يُجانب الصواب على ما رأينا [٣٢].

ثمَّ يُعرِّج بذكر وضع علامات الإعراب في القرآن الكريم, ويصفُ ما كانت عليه ألسنة الصحابة الكرام ي من البلاغة, وكيف كانت العربية مصونة عن اللحن قبل أن يختلط الأعاجم بالعرب بعد الفتوحات الإسلامية, ثمَّ يقول:

"ولما انتشر الإسلام واختلط العرب بأمم أعجمية ظَهَرَتْ عوامل الفساد في اللغة العربية، فحدث اللحن في لسان الفصحاء من العرب، وحدثت عدة حوادث نَبَّهَتْهُم إلى النهوض إلى صيانة القرآن الذي هو أساس الدين وحفاظ الإسلام من تطرق اللحن عليه، وكان أبو الأسود الدؤلي قد تعلم أصول النحو مِنْ عَلِيٍّ أمير

---

(٢٧) تاريخ القرآن, للزنجاني: ص٦٧- ٦٨ .

(٢٨) يُنظر: تاريخ القرآن, للزنجاني: ص٧١ .

(٢٩) يُنظر: صحيح البخاري, [باب جمع القرآن, حديث رقم: ٤٩٨٧]: ج٦/ ص١٨٣ .

(٣٠) تاريخ القرآن, للزنجاني: ص٧٣ .

(٣١) يُنظر: المصدر السابق: ص٧٥- ١٠٢ .

(٣٢) يُنظر: المصدر السابق: ص١٠٣- ١٠٨ .

المؤمنينﷺ[٣٣], واشتهر هو بعد ذلك بعلم العربية، وتعلم منه النحوَ جماعةٌ منهم يحيى بن يَعْمُر العدواني قاضي خراسان، ونصر بن عاصم الليثي، وبرعوا في النحو وقراءة القرآن وفنون الأدب، غير أن اشتغال جماعة بالنحو لم يَسُدَّ ذلك التيار الجارف من فساد اللسان بالاختلاط . فطلب زياد بن سمية - وكان واليًا على البصرة - من أبي الأسود أن يضع طريقة لإصلاح الألسنة وقال له: إن هذه الحمراء قد كَثُرَت وأفسدت من ألسنة العرب، فلو وَضَعْتَ شيئًا يُصلح به الناس كلامَهُم ويُعربون به كتاب الله، فأبى أبو الأسود أولًا لبعض أسباب كان يراها، فأمر زيادٌ رجلًا أن يقعد في طريق أبي الأسود، فلما قَارَبَهُ رفع صوته بالقراءة كأنه لا يَقْصِد إسماع أبي الأسود وقرأ (أن الله بريءٌ من المشركين ورسولِه) بكسر اللام، فأَعْظَمَ ذلك أبو الأسود وقال: عزَّ وجْهُ الله أن يَبْرَأَ من رسوله، ثم رجع من حينه إلى زياد وقال له: قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن فابعث لي كاتبًا، فبعث زياد إليه ثلاثين كاتبًا ..... "[٣٤], ويكمل الزنجاني باقي التفاصيل التي وردت في رواية وضع علامات إعراب القرآن الكريم, إلا أنه لا يسندها إلى مصدر بعد أن تعرض لذكرها .

وبعد حديثه عن إعراب القرآن الكريم, يذكر الإعجام في القرآن الكريم والعصر الذي وضع فيه – عصر عبدالملك بن مروان – مع ذكره لدواعٍ ذلك, وكيف كان, فيقول: "ومكث القارئ يقرأ ولا يَعْلَم هل القراءة الصحيحةُ والقرآن المُنْزَل هو قوله (نُنْشِزُها) بالراء المعجمة أو (نَنْشُرُها) بالراء المهملة، أو (لتكون آية لمن خلفك) بالفاء أو (لمن خَلْقَكَ) بالقاف؛ ولذلك كَثُرَ التصحيف في العراق، ففزع الحجاج أميرُ العراق إلى كُتَّابه في زمن عبد الملك، وسألهم أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابِهَة، ودعا نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني تلميذَيْ أبي الأسود الدؤلي لهذا الأمر، وكانت عامة المسلمين تَكْرَه أن يزيد أحدٌ شيئًا على ما في مصحف عثمان ولو للإصلاح خشية الابتداع، وتردد كثيرٌ منهم في قبول الإصلاح الذي أدخله أبو الأسود، فبعد البحث والتروي قرر نصر ويحيي - وكانا من التقوى بحيث لا يُتَّهمان في دينهما - إدخال الإصلاح الثاني، وهو أن توضع النقط أفرادًا وأزواجًا لتمييز الأحرف المتشابهة بالأسلوب الموجود الآن بيدنا، ولكن سبق القول أن الحركات والسكنات كانت بطريق النقط، وكذلك الإعجام أيضًا كان بطريق النقط، فمنعًا للَّبس بعض الحركات والسكنات والإعجام كان رسم كتابة المصحف مثلًا يكتب الحركة بلون أحمر والإعجام بلون يخالف الأحمر. قال أبو عمرو: ولا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصور الرسم - يعني رسم مصاحف عثمان - وأرى أن يُكتب الهمزات بالصفرة, وعلى ذلك مصاحف أهل المدينة" [٣٥].

منهجه في الباب الثالث:

يبدأ الزنجاني هذا الباب بالحديث عن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الغربية, ويذكر أول المؤلفات في ذلك بتواريخها وأسماء مؤلفيها, وكيف تطورت, فيقول:

"وبعد هذا أخذ القرآن في الظهور مُتَرْجَمًا إلى اللغات الأوروبية الحديثة من إنكليزية وفرنسية وألمانية وإيطالية وروسية، حتى لا تخلو الآن لغة من ترجمة له أو ترجمات (يعني للقرآن الكريم)". وهو في ذلك لا يتعرض لنقد هذه الترجمات التي لا تخلو من الطعن في القرآن الكريم, بل قد يكون امتدح بعضها بقوله:"

---

(٣٣) يُنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج٢/ ص٥٣٧, المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ), المحقق: إحسان عباس, الناشر: دار صادر – بيروت, الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠, الجزء: ٢ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠, الجزء: ٣ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠, الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١, الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤, الجزء: ٦ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠, الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤ .

(٣٤) يُنظر: تاريخ القرآن, للزنجاني: ص١٠٩- ١١٠ .

(٣٥) يُنظر: تاريخ القرآن, للزنجاني: ص١١١- ١١٢ .

ومع أن سايل تَوَسَّع في الترجمة ولم يتقيد بحرف الأصل، فقد تُعَدُّ ترجمتُه من أنفَس الترجمات وأنفعها في حينها" [٣٦].

ثمَّ يذكر رأي بعض علماء الإفرنج في تاريخ سور القرآن الكريم, فيبتدئ كلامه بمدح المستشرق نولدكه, فيقول: "أهم ما ألَّفَه الإفرنج في تاريخ القرآن هو الكتاب الذي ألفه الأستاذ « نولدكه » ..... فيه أبحاث تحليلية قيمة، كما أن فيه ما يؤاخذ عليه عالِم محقق كنولدكه, حيث لم يستوف البحث والفكر فيه حقه. بَحَثَ في كتابه عن تاريخ القرآن من نواحٍ شتى بما يشهد بتضلعه واطِّلاعه الواسع، كما بَحَثَ عن حقيقة الوحي والنبوة، وشخصية النبي صلى الله عليه وسلم، ونزول القرآن،وتاريخ نزول السور، مكِّيها ومدنيها ..... سَلَك في كشف تاريخ السور مسلكًا قويمًا يهدي إلى الحق أحيانًا، فإنه جعل « بدر » الحروب والغزوات الحادثة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وَعُلِم تاريخُها بالتحقيق كحرب وأشباهها من المدارك لفهم تاريخ ما نزل من القرآن « الحديبية » وصلح « الخندق » وفيها، وجعل أيضًا اختلاف لهجة القرآن وأسلوبه الخطابي دليلًا آخر لتاريخ آياته"[٣٧] . وربما نسي الزنجاني كم المزاعم الخاطئة التي خرج بها هذا المستشرق، وكيف طعن في الإسلام والعرب والمسلمين بلا هوادة .

ثمَّ يذكر ترتيب سور القرآن الكريم كما يراه هذا المستشرق, وكيف يرتاب الأخير في بحثه التحليلي في الروايات والأحاديث وأقوال المفسرين في تاريخ القرآن الكريم .

والزنجاني في نهاية كتابه يختم في البحث في فواتح سور القرآن الكريم, يذكر فيها بعض روايات التابعين والمفسرين, وينتهي بقوله أنه ترك ذِكر أراء هؤلاء الإفرنج - المستشرقين - لضعفها وعدم ركونها إلى الدليل العلمي [٣٨].

يُركّز أبو عبد الله الزنجاني في معالجته لمسألة نشأة الخط العربي على الطابع السندي والنقلي، حيث يستعرض الروايات التي تنسب الخط الحجازي إلى أصوله في الحيرة والأنبار، مستندًا إلى تسلسل سندي يبدأ من قريش ويعود تدريجيًا إلى اليمن وكاتب وحي النبي هود عليه السلام، كما في رواية ابن عباس. وهذا الطرح يتسم بروح تاريخية تراثية تقليدية، إذ يعتمد على أقوال المؤرخين المسلمين الأوائل دون كثير من النقد أو التفكيك السندي للروايات.[39]

أما الدكتور عبد الصبور شاهين، فإنه يقترب من المسألة بمنهج نقدي تاريخي تحليلي، يشير فيه إلى تعقيد المشكلة وتناقض مصادرها، ويطرح بوضوح أن الروايات في هذا الباب تتسم بالتخمين وتضارب المصادر، ويُبرز التشكيك في صحة الروايات، مع تتبع ما أورده ابن أبي داود السجستاني والجهشياري. ويميل شاهين إلى تناول المسألة كـ"مشكلة تاريخية مفتوحة" لا يمكن القطع فيها برأي، بل تحتاج إلى غربلة علمية دقيقة.[40]

وهكذا يتضح أن الزنجاني يُظهر ثقة نسبية في الروايات، بينما يُمارس شاهين نوعًا من التحقيق العلمي المتشكك، مع إعطاء الأولوية للنقد الداخلي للمصادر بدل قبولها كما هي.

يتناول أبو عبد الله الزنجاني في الباب الثاني من كتابه مسألة جمع القرآن الكريم عقب وفاة النبي ﷺ بمنهج تأصيلي وتاريخي متأني، مرتكزًا على الرواية المشهورة عن جمع القرآن في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بتوصية من الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويستعرض هذا الحدث من خلال رواية عبيد بن السباق التي توضح أبعاد الحوار والمداولات التي جرت بين الصحابة بشأن مشروعية الجمع وخشيته من الابتداع في الدين[41] .

---

(٣٦) يُنظر: المصدر نفسه: ص١١٥ .

(٣٧) يُنظر: المصدر السابق: ص١١٧ .

(٣٨) يُنظر: المصدر السابق: ص١١٩- ١٢١ .

(39) تاريخ القران ، للزنجاني ، ص ٢٦

(40) المصدر نفسه

(41) تاريخ القران ، للزنجاني ، ص ٦٧ –٦٨

لا يكتفي الزنجاني بسرد الرواية كما وردت، بل يُعمق النظر فيها، ويُقدّم تحليلًا نفسيًا واجتماعيًا للموقف، مُبرزًا كيف أن الصحابة الأوائل كانوا يتعاملون مع مسألة جمع القرآن بحذر شديد، وحيطة دينية بالغة، خشية أن يُحدثوا أمرًا لم يفعله النبي ﷺ. ويُعلّق بأن تردد أبي بكر وزيد بن ثابت رضي الله عنهما لم يكن نابعًا من إنكار لفكرة الجمع ذاتها، وإنما من ورعهم الشديد وخضوعهم للسنة النبوية، حيث لم يُقدِم النبي ﷺ بنفسه على جمعه في مصحف واحد مكتوب. ويُبدي الزنجاني وعيًا دقيقًا بوجود جمع غير رسمي للقرآن في عهد النبي، ويُفرّق بين حفظ القرآن في الصدور، وتدوينه في الصحف المتفرقة، وبين جمعه في مصحف جامع رسمي[42].

كما يُشير إلى أن الدافع الأساسي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن مجرد الحفظ، بل استشرافه لضرورات الأمة المستقبلية، وهو ما عبّر عنه بعبارة "هذا والله خير"، أي أنه أدرك أن المصلحة المرسلة تقتضي توثيق القرآن كتابيًا لحماية الدين من ضياع محتمل. وينقل الزنجاني عن بعض كتب المصادر مثل "الإتقان" و"مغازي موسى بن عقبة" إشارات تؤيد هذا التوجه، ليؤكد أن الجمع لم يكن ابتداعًا، بل امتدادًا لسنة عملية وقصدية تركها النبي ﷺ ضمناً.

ثم يتناول جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه، مستعرضًا دوافعه، ومنها الخلاف في القراءات بين أهل الشام والعراق، ويعتمد في ذلك على ما ورد في صحيح البخاري، دون أن يُغفل ذكر الخلفية العسكرية والسياسية لذلك العصر، كالفتوحات وتوسّع رقعة الدولة، ويشير إلى مبادرة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، ما يُدلل على تطور الوعي الجمعي بضرورة التوحيد النصي للقرآن الكريم.

أما إبراهيم الإبياري، فيعرض لمسألة جمع القرآن الكريم بمنهج يزاوج بين الوصف التاريخي التفصيلي، والرؤية التأملية التي تبرز قيمة هذا الحدث في سياقه الزمني والديني. يبدأ الإبياري بتأكيد أن القرآن كان مكتوبًا عند وفاة النبي ﷺ على مواد بدائية كالرقاع، والعسب، واللخاف، والأكتاف، إلى جانب حفظه المتين في صدور الصحابة، مما يشير إلى تعدد الوسائل التي استُخدمت في توثيق الوحي زمن الرسول ﷺ، وإن لم تُجمَع في مصحف واحد.[43]

ويُسلّط الإبياري الضوء على واقعة اليمامة بوصفها المنعطف الحاسم الذي فجّر فكرة جمع القرآن. ويصف ببراعة الأسلوب السردي ما اعتراه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خوف على القرآن بعد استشهاد عدد كبير من حفظته، ما دفعه لمقابلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفتح باب النقاش معه حول ضرورة المبادرة إلى جمع القرآن في مصحف جامع.

وتظهر في طرح الإبياري جوانب إنسانية وسياسية ودينية في آن، حيث يعرض المشهد الحواري بين الصحابة وكأنه مشهد من وعي جماعي متقدم يُوازن بين احترام السُّنة، والخوف من الابتداع، وبين ضرورة اتخاذ القرارات التي تحفظ الدين وتبني الدولة. ويُبرز تردد أبي بكر ثم قناعته التدريجية، ويُشيد بدور زيد بن ثابت، مشيرًا إلى كفاءته ومكانته بوصفه كاتب وحي، ويُشدد على ورعه الشديد في إثبات الآيات، إذ لم يكن يقبل بتسجيل أي آية إلا إذا توفرت شهادة مكتوبة ومسموعة لها، رغم كونه حافظًا لها عن ظهر قلب.[4445]

ويمتاز أسلوب الإبياري بالسرد الغني بالأبعاد العاطفية والمعنوية، إذ يُصور العملية وكأنها موقف مصيري، ناتج عن إحساس جماعي بالخطر المحدق بالقرآن، في ظل احتمال فقدان الحَفَظة وتبعثر الرقاع.

([42]) المصدر نفسه ، ص ٧١

([43]) إبراهيم الإبياري، تاريخ القران الكريم ، دار الكتاب المصري، القاهرة – مصر ، ط٣ ١٩٩١، المجلد ١ – ص ١٠٢

([45]) إبراهيم الإبياري، المصدر السابق، ص ١٠٢

كما يُشير إلى أن هذه الصحف ظلّت محفوظة في بيت أبي بكر، ثم عمر، ما يدل على مركزية المرجعية القرآنية الواحدة قبل أن تنتقل لاحقًا إلى عهد عثمان رضي الله عنه.

وبذلك فإن الإبياري يُقدم رؤية سردية مؤصلة ذات طابع إنساني وديني تُكمل الصورة التاريخية التي أرسى معالمها المحدثون الأوائل، مع اعتماد أقل على التحليل الفقهي، وأكثر على إبراز الحدث كقصة تأسيسية في التاريخ الإسلامي.

يتناول أبو عبد الله الزنجاني في الباب الثالث من كتابه قضية ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية، من زاوية تاريخية وثقافية، متتبعًا مسار هذه الترجمات منذ بداياتها الأولى، ذاكراً أسماء المترجمين وتواريخ الترجمات وخصائصها الأسلوبية. ويُظهر الزنجاني اهتمامًا بالغًا بتوثيق هذا التحول الثقافي الذي مثّله انتقال النص القرآني من لغته الأصلية – العربية – إلى لغات الغرب، في إطار حركة الاستشراق والاهتمام الأوروبي بالإسلام.[46]

ويُلاحظ على منهج الزنجاني في هذا الباب أنه يركّز على الجانب التاريخي والتحليلي لتطور الترجمة أكثر من الجدل الفقهي المتعلق بجوازها. فهو لا يُهاجم الترجمات بشكل مباشر كما يفعل كثير من علماء المسلمين، بل يظهر أحيانًا إعجابًا ببعضها، كما في وصفه لترجمة "سايل" بأنها من أنفس الترجمات، رغم أنه يعترف بأنها "لم تتقيد بحرف الأصل". وهذا يُشير إلى منهج معتدل ومنفتح نسبيًا، يوازن بين التقدير العلمي للجهود الغربية في فهم القرآن، وبين التحفظ الضمني من الخروج عن النص العربي.[47]

ثم ينتقل الزنجاني إلى الحديث عن آراء بعض المستشرقين في القرآن، ويخصّ بالذكر المستشرق الألماني الشهير "نولدكه"، ويصف عمله في "تاريخ القرآن" بأنه "أهم ما ألّفه الإفرنج"، نظرًا لتحليلاته المعمقة وغزارة معلوماته، رغم أنه ينتقده أيضًا لعدم استيفاء البحث حقه في بعض المواضع. ويبدو أن الزنجاني ينظر إلى نولدكه كباحث جاد، وليس كمجرّد مستشرق منحاز، ما يعكس مرونة في التعامل مع الفكر الغربي، وإن كان يتحفظ على بعض استنتاجاته. وبهذا يظهر في منهج الزنجاني نزعة أكاديمية تحليلية تتعامل مع الترجمات وآراء المستشرقين بوصفها مواد معرفية جديرة بالبحث والتقويم، لا مجرد مادة للرفض أو الإدانة.

أما محمد طاهر الكردي، فيتناول قضية ترجمة القرآن الكريم من منظور فقهي عقائدي تقليدي صارم، ينطلق من أقوال الأئمة الأربعة وإجماع الأمة على حرمة ترجمة القرآن ترجمة حرفية، بل يعدها من مظان التحريف والتبديل، ويُشدّد على أن هذا المنع له أصول قوية في العقيدة واللغة، خاصة وأن القرآن لا يُمكن نقله إلى لغة أخرى دون فقدان خصائصه البلاغية والمعنوية المرتبطة بألفاظه العربية.[48]

ويُفرّق الكردي بوضوح بين نوعين من الترجمة:

١. الترجمة الحرفية، التي يُحرّمها تحريمًا باتًا، ويرى أنها تؤدي حتمًا إلى التبديل وتشويه النص،
٢. والترجمة التفسيرية، التي يُجيزها بشروط، كونها لا تدّعي مطابقة النص القرآني، بل تهدف إلى بيان المعاني العامة للآيات.

ويستدل الكردي بمكانة المصحف الشريف وحرمة مسّه لغير الطاهر، ليؤكد قُدسية القرآن وضرورة بقائه باللغة التي نزل بها. ويُشير إلى إجماع العلماء على عدم جواز كتابة القرآن بغير الرسم العثماني، واستحالة نقله إلى اللغات الأجنبية التي تختلف في أصواتها وحروفها. وينقل عن الإمام أبي حنيفة قولاً قديمًا

([46]) تاريخ القران ، للزنجاني ، ص ١١١– ١١٢

([47]) المصدر نفسه ، ص ٧١

([48]) محمد طاهر الكردي، تاريخ القرآن الكريم، ط الفتح بجدة – الحجاز عام ١٣٦٥ هـ و ١٩٤٦ م، ص١٩٠

بجواز القراءة بالفارسية للعاجز، لكنه يؤكد أن الإمام رجع عن ذلك القول لاحقًا، كما أقرّه علماء من أمثال الألوسي.[49]

كما يُوظف الكردي النصوص الشرعية من القرآن والسنة ليُعزّز فكرته عن مركزية النص العربي وقدسيته، مستشهدًا بقوله تعالى" :لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله"، وبحديث النبي ﷺ عن القرآن بأنه "حبل الله المتين، لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ."...وبهذا، يُقدّم الكردي موقفًا تقليديًا محافظًا، يُحذّر من تجاوز الحدود الشرعية في التعامل مع النص القرآني، ويرى أن أي محاولة لنقله خارج لغته تنطوي على خطر محقق على سلامته النصية والعقائدية.

الخاتمة

بعد أن استكملت بحثي - ولله الحمدُ والمِنَّة - توصلتُ إلى أهم النتائج وهي كالآتي:

١- وضع الزنجاني معالم كتابه في مقدمته, فذكر بعثة النبي الكريم ﷺ وذكر صفاته ومن حوله من الذين ناصروه ثمَّ ذكر الهجرة, وهو في كل ذلك يحرص على ذكر التسلسل بالمراحل, ويذكر التواريخ المهمة .

٢- عندما ذكر بداية الوحي استدل على ذلك بالروايات المشهورة من الصحاح .

٣- يذكر مراحل تنزيل القرآن على قلب النبي ﷺ وأقوال العلماء في المكي والمدني دون أن يُسهب في ذلك.

٤- يبيّن المراد بالأحرف السبعة, وبداية كتابة القرآن, وأسماء كتبتهِ على عهد النبي ﷺ مع عنايته بتخريج الروايات التي ذكرت ذلك .

٥- في ذكره لتاريخ نزول السور المكية والمدنية, يذكر اليوم والتاريخ والشهر, معتمداً على كتاب ابن النديم (الفهرست) الذي نقل عن المستشرق نولدكة من كتابه (تاريخ القرآن), وكذلك نقل عن البقاعي .

٦- وهو عندما ذكر جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ وفي عهد عثمان ﷺ نقل الروايات المشهورة عند علماء الأُمة في ذلك .

٧- أسهب الذكر في ترتيب مصاحف بعض الصحابة - على حد زعمه – غير مصحف عثمان, نقلاً عن ابن النديم, والذي بدوره لم يُسندها إلى روايات معروفة, ولا نستطيع أن نُسلِّم بذلك؛ لما عليه إجماع الأُمة نقلاً وعقلاً على مصحف عثمان ﷺ .

٨- يذكر الروايات في إعراب القرآن وإعجامه, معللاً ذلك باختلاط العرب بالأعاجم بعد الفتوحات.

٩- لم يتعرض بالنقد لترجمات المستشرقين, التي لا تخلو من الطعن في القرآن, وأولى اهتمامه بالمستشرق نولدكة وأثنى على كتابه (تاريخ القرآن) .

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر

١- أعلام الشيعة, المؤلف: الدكتور جعفر المهاجر, الناشر: دار المؤرخ العربي, بيروت - لبنان .
٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز , لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي, المحقق : محمد علي النجار , الناشر : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة

(49) محمد طاهر الكردي، المصدر السابق، ص١٩١

إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة , عام النشر : جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م, جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م, جـ ٦: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

٣- تاريخ القرآن, المؤلف: أبو عبدالله الزنجاني, الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة – جمهورية مصر العربية, ٢٠١٢م .

٤- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين, للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي, دار القلم – دمشق, الطبعة: الثالثة, ١٤٢٩ه - ٢٠٠٨م .

٥- جامع البيان في تأويل القرآن, المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ), المحقق: أحمد محمد شاكر, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري, المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي, المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر, الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي), الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ), تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, الناشر: دار العلم للملايين – بيروت, الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

٨- لسان العرب لابن منظور, المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ), الناشر: دار صادر – بيروت, الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٩- مجمل اللغة لابن فارس, لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين, دراسة وتحقيق : زهير عبد المحسن سلطان , دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت , الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٠- مختار الصحاح, المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ), المحقق: يوسف الشيخ محمد, الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا, الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها, المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ), المحقق: فؤاد علي منصور, الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

١٢- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم, المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ), المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٣- معجم المؤلفين, المؤلف: عمر رضا كحالة, الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت . وكتاب: أعلام الأدب في العراق الحديث, المؤلف: مير بصري, تقديم د. جليل عطية, دار الحكمة, الطبعة: الأُولى, ١٤١٥ه – ١٩٩٤م .

١٤- المفردات في غريب القرآن, المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ), المحقق: صفوان عدنان الداودي, الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت, الطبعة: الأولى - ١٤١٢ ه .

١٥-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ), المحقق: إحسان عباس, الناشر: دار صادر – بيروت, الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠, الجزء: ٢ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠, الجزء: ٣ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠, الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١, الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤, الجزء: ٦ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠, الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤ .